صولو

Quatrans Of Romi

الجُمَل المكتوبة بخط مائل

من رباعيات

"جلال الدين الرومي"

تأويل: محمد عيد إبراهيم

صولو

أربعُ خُطواتٍ إليها؛ يَمْرُ يَدَهُ، تَمْرُ يَدَها؛ كَفُّها تَعْلُو كَفَّهُ دونَ تَلامُسٍ، وتَبْدأُ الرقصةَ..

جَسَدُهُ آيةٌ من خَلْق الله، الخوفُ والرجاءُ والألمُ أشياءُ؛ تَرْتَسِمُ عَلَى وجْهِهِ العربيّ، ملامح وطن.

معًا يدوران، في عينيها إشراقةُ إعجابٍ، وفي عينيه خَيَّمَ حِيَادٌ طويل.

مُفْعَمٌ بالموسيقى التي امْتَصَّتْهَا عَضَلاتُه مع التدريبات الشاقّة في أيامهِ الماضية، متطلعٌ لأن يكون في العَرْضِ القادمِ solo dancer، حتى القفـزة الجانبية التي لم يُحِبّـــها أبدًا، ويُطْـــلِق عليـــها في نفسِـه: "رقصةُ الذبيح"، أتْقَنَها تمامًا، مُخلِصًا للمِنْحَة التي أُسْتُحْدِثت من أجله: "ارقُصُوا من أجلِ السلام"، كان يرقصُ في شوارع ذبيحة، بين بيوتٍ هَدَّمَتْها قذائفُ الهاونِ، واشمًا على عُنُقِه: الرقصُ أو الموت.

ثلاثُ خُطواتٍ إليها، خُطْوَة إليه، يَمْرُ يَدَهُ، تَمْرُ يَدَها، تُلامِسُ أصابعُها أطرافَ أصابعِه، وتبدأُ الرقصةَ..

يُمكِنُهُ أن يمشي قليلًا مع صديقتِهِ الفرنسيةِ، بعد أن قَدَّمَ رقصتَه أمامَ برج إيفل على أنغامِ البيانو، تُصَاحِبه أغنيتها التي اتَّخَذَتْ من وشمِه عنوانًا لها.

العالمُ ليس جميلًا أبدًا، والصفعةُ التي تَلَقَّاها من أبيه - وهو صغير –

علامــةُ في قلبِــهِ، أبــدًا، لا تصعد إلى عينيه، لكنّهـا تَسْرِي في دمِهِ، لـن يُصبح صفحةً بين دَفَتَيّ كتاب لا يقرأه أحد، سيكون صرخةً تَنْفَلِت من حنجرةِ ناي في بريةٍ، شهقةً في سماءٍ ليس لها من خَطيئةٍ؛ إلّا أنّها تَشهدُ في صمتٍ من أولِ الدنيا على أحوالِ البشرِ.

خُطوناهِ إليها، خُطوناهِ إليه، يَمُرُّ يَدَهُ، تَمُرُّ يَدَها، تُشْنِرُ كَفَّها في كَفِّهِ، تَبدأُ الرقصةَ..

يلتَقِيهَا في طريقِهِ للمعهد، أمستردام الأنيقة اللامعة، تستدعي في ذاكرتِهِ مدينتَهُ؛ التي طَالَهَا الخراب، وأنْهَكَتْها الحربُ سنواتٍ مَرَّتْ، تَلْمِسُ يدُها الرقيقةُ الباردةُ وَشْمَهُ:

- والحب؟

يبتسم في حنانٍ للذِكْرَى، كان يُباغت رفيقتهُ هناك بقفزةٍ في الهواءِ، يتبعها بخطواتٍ واسعةٍ، تَختبئ خلف الأشجارِ، تتطلَّع إليه، وتحْلُم... آخر مرة جَلَسَا معًا؛ تُظللهما أنياب حديدية في بقايا البيوتِ المُتهدمةِ: هذا الصوتُ، هل كان أنينُ الأحجارِ، أم العروسةُ القماشُ بين الركامِ تبكي صاحِبَتِها!

تُصِّر أمه على سفره للمنحةِ، سانَدَتْهُ وإخوتُه كثيرًا، يُرْسِلُ إليهم الآن كلَّ ما يحصُل عليهِ من مالٍ، هل يعود ذات يومٍ للمُخَيَّمِ، وطنه الذي لم يعْرِف غيره؟ العجائزُ يحْكُون عن وطن آخر، يحلُمون بالعودةِ إليه، يُطلِقون الأسماءَ على شوارع المُخَيَّم، لكنّ المخيماتِ لا تسْتجيب؛ إذ لا وطن؛ سوى وجه الله، حين يعود سيُنْشِئ معهدًا لتعليم الباليه، وتمثالًا بالحجم الطبيعي للعالِمِ الأثري خالد الأسعد الذي ذُبِحَ وعلّق على أبواب تدمر الأثريّة، سيضعه في نفس المكان على بابِ المدينةِ الباقيّة أبدًا.

خُطوةٌ واحدة إليها، تتقدمُ ثلاثَ خطواتٍ، يَمُدّ يَدَهُ، تَقبِض على كَفِّه، وتبدأ الرقصة..

يدورُ بها دورة واحدة قَبْلَ أن يبدأ عرضَهُ المُنَفرد؛ هابِطًا بجسدِه قليلًا، يمُدُ ساقَه اليُمنى، وبأطرافِ أصابعِه يمسح خشبةَ المسْرح؛ كبندول ساعةٍ تقرأ كل ثانية، ينتصبُ مشدودًا، يداهُ للخلفِ ولأسفل، رافعًا رأسَه، مُصَوِبًا عينيه نحو ما لا يرَاه غيره، يقطعُ بيسراه الكرةَ الأرضية؛ فينشطرُ العالمُ إلى نصفين: الأعلى يرقصُ منتشيًا، والأسفل يتعثرُ بقدمَيّه، يدورُ؛ يدُه اليسْرَى لأعلى واليمْنَى للأرض، زملاؤه يتبادلون الدهشةَ، ما الذي يفعله العربيّ على أرضِ الباليه المقدسة؟ ***جِلدًا وَدمًا وعِظامًا وعَقلًا ورُوحًا.. لا مكان لنقصٍ رجاءٍ أو للرجاءِ.. ليس بهذا الوجودُ إلاكَ،*** إلهُك وطنٌ، يدورُ.. ***واصِلْ تجْوَالكَ رغمَ أنهُ لا مكانَ لكي تَصِل،*** آهٍ؛ يعْلُو، ***ارْحَل إلى باطِنِك، الرقصةُ لن تنتهي حتى لو تَوَقَف عازف البيانو، أنينُك أغنيةٌ.. لا تدْخُل إلينا دون أن تَجْلِب الألحانَ،*** يستطيع الآن أن يتخلَّص من جاذبيةِ الأرضِ، يؤدي شَكْلًا استاتيكيًّا في الهواءِ لمدةٍ زمنيةٍ قصيرة، هي المفاجأة التي يحْمِلها لهم اليوم؛ وبقُدراته الانفعالية العالية؛ يجعلُهُم يُصيحون في دهشةٍ وإعجاب وغيرة، ويدورُ، ***في داخلِ الماءِ ساقيةٌ تدور، نجمٌ يُلِفُ مع القمر***؛ كنواةٍ حول ذرةٍ، يدورُ .. يبحث عن نورٍ، عن فرحةٍ مع الله، ***ما هذه الأنوار!*** يعْلُو بعيدًا عن جاذبية الأرض كَإلكْتِرُون حولَ ذاته، يا الله، نظرةٌ بعينِ محبتِك لهذا العالم المستكين! يدورُ.. ***ذات يومٍ؛ تُخِّليني من ذاتي فأستطيع ما لا تستطيعه الملائكة؛ أن هُدْبك سوف ينْظُم فوق خَدِّي القصيدَ التي ليْسَت في مقدورِ أحد.***